الشفا

بتعريف حقوق المصطفى

للعالم العلامة المحقق

القاضى أبى الفضل عياض اليحصبى

المتوفى سنة ٥٤٤ هـ

وقد ذيلناه بالحاشية اللطيفة المسماة

مزيل الخفاء: عن ألفاظ الشفاء

للعلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمنى

المتوفى سنة ٨٧٢ هـ

الجزء الأول

دار الكتب العلمية

١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
بيروت ـ لبنان

ترجمة القاضى عياض (١)

هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون بن موسى بن عياض بن محمد بن عبد الله بن موسى بن عياض اليحصبي ، الإمام العلامة ، يكنى أبا الفضل ، سبتى الدار والميلاد ؛ أندلسى الأصل .

قال ولده محمد : كان أجدادنا فى القديم بالأندلس ، ثم انتقلوا إلى مدينة فاس وكان لهم استقرار بالقيروان لا أدرى قبل حلولهم بالأندلس أو بعد ذلك . وانتقل عمرون إلى سبتة بعد سكنى فاس . وكان القاضى أبو الفضل إمام وقته فى الحديث وعلومه ، عالما بالتفسير وجميع علومه ، فقيهاً أصوليا عالما بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم ، بصيراً بالأحكام ، عاقداً للشروط ، بصيراً حافظاً لمذهب مالك رحمه الله تعالى ، شاعراً مجيداً ريانا من علم الأدب ، خطيباً بليغاً صبوراً حليما جميل العشرة ، جواداً سمحاً كثير الصدقة ؛ دؤوباً على العمل ، صلباً فى الحق .

رحل إلى الأندلس سنة تسع وخمسمائة طالباً العلم ؛ فأخذ بقرطبة عن القاضى أبى عبد الله محمد بن على بن حمدين ، وأبى الحسين بن سراج ، وعن أبى محمد بن عتاب وغيرهم وأجاز له أبو على الغسانى ، وأخذ بالمشرق عن القاضى أبى على حسين بن محمد الصدفى وغيره ، وعنى بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم ، وأخذ عن أبى عبد الله المازنى : كتب إليه يستجيزه ، وأجاز له الشيخ أبو بكر الطرطوشى . ومن شيوخه : القاضى أبو الوليد بن رشد . قال صاحب الصلة البشكوالية : وأظنه سمع عن أبى زيد ، وقد اجتمع له من الشيوخ بين من سمع منه وبين من أجاز له مائة شيخ وذكر ولده محمد منهم : أحمد بن بقى ، وأحمد بن محمد بن محمد ابن مكحول ، وأبو الطاهر أحمد بن محمد السِّلَفى ، والحسن بن محمد بن سكره ، والقاضى أبو بكر بن العربى ، والحسن بن على بن طريف ، وخلف بن إبراهيم بن النحاس ، ومحمد بن أحمد بن الحاج القرطبى ، وعبد الله بن محمد الخشنى وغيرهم ممن يطول ذكرهم .

---

(١) نقلت هذه الترجمة من كتاب الديباج الذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب للعلامة برهان الدين ابن فرحون المالكي .

قال صاحب الصلة : وجمع من الحديث كثيراً وله عناية كبيرة به واهتمام بجمعه وتقييده وهو من أهل التفنن فى العلم واليقظة والفهم ، وبعد عودته من الأندلس أجله أهل سبتة للمناظرة عليه فى المدونة وهو ابن ثلاثين سنة أو ينيف عنها ، ثم أجلس للشورى ثم ولى قضاء بلده مدة طويلة حُمدت سيرته فيها ، ثم نقل إلى قضاء غرناطة فى سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ولم يطل أمره بها ، ثم ولى قضاء سبتة ثانيا . قال صاحب الصلة : وقدم علينا قرطبة فأخذنا عنه بعض ماعنده . قال الخطيب : وبنى الزيادة الغربية فى الجامع الأعظم وبنى فى جانب المينا الراتبة الشهيرة وعظم صيته . ولما ظهر أمر الموحدين بادر إلى المسابقة بالدخول فى طاعتهم ورحل إلى لقاء أميرهم بمدينة سلا ، فأجزل صلته ، وأوجب بره ، إلى أن اضطربت أمور الموحدين عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة فتلاشت حاله ، ولحق بمراكش مشردًا به عن وطنه فكانت بها وفاته .

وله التصانيف المفيدة البديعة منها كمال المعلم : فى شرح صحيح مسلم ؛ ومنها كتاب الشفا : بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم أبدع فيه كل الإبداع ، وسلم له أكفاؤه كفاءته فيه ولم ينازعه أحد فى الانفراد به ولا أنكروا مزية السبق إليه بل تشوفوا للوقوف عليه ، وأنصفوا فى الاستفادة منه ، وحمله الناس عنه ، وطارت نسخه شرقاً وغرباً ؛ وكتاب مشارق الأنوار فى تفسير غريب حديث الموطأ والبخارى ومسلم وضبط الألفاظ والتنبيه على مواضع الأوهام والتصحيفات وضبط أسماء الرجال وهو كتاب لو كتب بالذهب أو وزن بالجوهر لكان قليلا فى حقه ، وفيه أنشد بعضهم :

مَشَارِقُ أَنْوَارٍ تَبَدَّتْ بِسَبْتَةٍ وَمِنْ عَجَبٍ كَوْنُ الْمَشَارِقِ بِالغَرْبِ

وكتاب التنبيهات المستنبطة على الكتب المدوّنة : جمع فيه غرائب من ضبط الألفاظ وتحرير المسائل ؛ وكتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك وكتاب الإعلام بحدود قواعد الإسلام ؛ وكتاب الإلماع فى ضبط الرواية وتقييد السماع ؛ وكتاب بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد ؛ وكتاب الغنيمة فى شيوخه ؛ وكتاب المعجم فى شيوخ ابن سُكَّرة ؛ وكتاب نظم البرهان على حجة جزم الأذان ؛ وكتاب مسألة الأهل المشروط بينهم التزاور ؛ ومما لم يكمله : المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان ، وكتاب العيون الستة فى أخبار سبتة ، وكتاب غنية الكاتب وبغية الطالب فى الصدور

والترسل ، وكتاب الأجوبة المحبَّرة على الأسئلة المتخيرة ، وكتاب أجوبة القرطبيين ، وكتاب أجوبته عما نزل فى أيام قضائه من نوازل الأحكام فى سِفرٍ ، وكتاب سر السراة فى أدب القضاة ، وكتاب خطبه وكان لا يخطب إلا بإنشائه ، وله شعر كثير حسن رائق فمنه قوله :

يامن تحمل عنى غير مكترث لكنه للضنى والسقم أوصى بى
تركتنى مستهام القلب ذا حرق أخا جوًى وتباريح وأوصاب
أُراقب النجم فى جنح الدجى سمراً كأننى راصد للنجم أو صابى

وله رحمه الله تعالى :

الله يعلم أنى منذ لم أركم كطائر خانه ريش الجناحين
ولو قدرت ركبت الريح نحوكم فإن بعدكم عنى جنى حينى

وله من أبيات :

إن البخيل بلحظه أو لفظه أو عطفه أو رفقه لبخيل

وله فى خامات الزرع بينها شقائق النعمان هبت عليها أرياح :

آنظر إلى الزرع وخاماته تحكى وقد ماست أمام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة شقائق النعمان فيها جراح

وله غير ذلك .

كان مولد القاضى عياض بسبتة فى شهر شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة ، وتوفى بمراكش فى شهر جمادى الأخيرة وقيل فى شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، وقيل إنه مات مسموماً سمه يهودىّ .

ودفن رحمه الله تعالى بباب إيلان داخل المدينة .

و « عياض » بكسر العين المهملة وفتح الياء المثناة التحتية وبعد الألف ضاد معجمة و«اليحصبى» بفتح الياء المثناة التحتية وسكون الحاء المهملة وضم الصاد المهملة وفتحها وكسرها وبعدها باء موحدة نسبة إلى يحصب بن مالك قبيلة من حمير ، وسبتة مدينة مشهورة ، وغرناطة : مدينة بالأندلس وهى بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة ثم نون مفتوحة بعدها ألف وبعد الألف طاء مهملة ثم هاء ويقال فيها أغرناطة بألف قبل الغين .

ترجمة العلامة الشمنى (١)

صاحب الحاشية

هو أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن على بن يحيى بن محمد التقى السكندرى المولد القاهرى المنشأ الحنفى ويعرف بالشمنى بضم المعجمة والميم ثم نون مشددة نسبة لمزرعة ببلاد المغرب أو لقرية بها ولد فى العشر الأخير من رمضان سنة إحدى وثمانمائة واشتغل أولا مالكيا ثم تحول حنفيا لكون البساطى فيما قيل قدم عليه بعض من هو دونه من رفقائه وبرع فى الفقه والأصلين والعربية والمعانى والبيان والمنطق والصرف والهندسة والهيئة والحساب وسمع الحديث على جماعة وبحث على شيخنا دروساً من شرح ألفية العراقى ولازمه بعد والده فأحسن إليه وساعده فى استخلاص مبلغ ممن وثب عليه فى بعض وظائف أبيه وزاد إقبالا عليه حين وقع السؤال عن حكمة الترقى من الذرة إلى الحبة إلى الشعيرة فى حديث ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة الحديث . وأجاب التقى بديهة بأن صنع الأشياء الدقيقة فيه صعوبة والأمر بمعنى التعجيز فناسب التدلى من الأعلى إلى الأدنى فاستحسنه شيخنا فزاد فى إكرامه والتعريف بفضيلته وتصدى للإقراء ، وصنف حاشية على المغنى لخصها من حاشية الدمامينى وزاد عليها أشياء نفيسة سماها المنصف من الكلام على مغنى ابن هشام ، وتعليقاً لطيفا فى ضبط ألفاظ الشفاء لخصه من شرح البرهان الحلبى وأتى بتتمات يسيرة فيها تحقيقات دقيقة سماه « مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء » وغير ذلك وأقرأ فى العقليات بدون ملاحظة كراس ولا حاشية وقد اتفق دخول اثنين من فضلاء العجم الجمالية فوجداه يقرئ فى المطول بدون كراس فجلسا عنده وبحثا معه واستشكلا عليه فلم ينقطع منهما بل أفحمهما بحيث امتلأت أعينهما من جلالته وصرحا بعد انفصالهما عنه لبعض أخصائه بأنهما لم يظنا أن فى أبناء العرب من ينهض لحكاه للشيخ فتبسم وقال بذلك قد أقرأته اثنى عشر مرة بغير مطالعة وكان إماما علامة سنيا متين الديانة ممن ينسب إلى التصوف لم يتدنس بما يحط مقداره وقد عم النفع به حتى بقى جل الفضلاء من سائر المذاهب من أهل مصر بل وغيرها من تلامذته

---

(١) من البدر الطالع المنتخب من الضوء اللامع لأهل القرن التاسع .

واشتدت رغبتهم فى الأخذ عنه وتزاحموا عليه وهرعوا صباحا ومساء إليه ، وامتدحه من الشعراء : الشهاب المنصوريّ وغيره كل ذلك مع الشهامة وحسن الشكالة والأبهة وبشاشة الوجه ومحبة الحديث وأهله وقد حضرت كثيراً من دروسه وتقنعه بخلوة فى الجمالية يسكنها وأمة سوداء لقضاء وطره وغير ذلك وقد استقر به قانباى الجركسى فى خطابة تربته ومشيخة الصوفية بها وتحول إليها ولم يكن يحابى فى الدين أحداً بحيث التمس منه بعض الشبان من ذوى البيوت إذنه له فى التدريس بعد أن أهدى إليه شيئا فبادر لرد الهدية وامتنع من الإذن وربما كتب فيما لا يرتضيه لقصد جميل ككتابته على كراس من تفسير البقاعى الذى سماه المناسبات فإنه قال لى حين عاتبته على ذلك إنما كتبت لصونه عما رام تمريغا أن يوقعه به ووالله ما طالعته وليس هو عندى فى زمرة العلماء ولم تكن له رغبة فى الكتابة على الفتوى مع سؤالهم له ولا فى حضور عقود المجالس وقد خطبه الشهاب ابن العينى أيام ضخامته للحضور عنده وألح عليه وكان قرره متصدراً فيما جده بمدرسة جده فلم يجد بدا من إجابته وجاء العبادى ليجلس فوقه بينه وبين الحنفى فما مكنه الشهاب وحول العبادى إلى جهة يمينه ، بل خطب لقضاء الحنفية فأبى بعد مجيء كاتب السر إليه وإخباره بأنه إن لم يجب نزل إليه السلطان فصمم وقال الاختفاء ممكن فقال له كاتب السر فبماذا تجيب إذا سألك الله تعالى عن امتناعك بعد تعينه عليك فقال يفتح الله تعالى حينئذ بالجواب ولم يزل على وَجاهته إلى أن تعلل ومات فى ليلة الأحد سابع عشر ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة بمنزل سكنه من التربة المشار إليها وصلى عليه عند بابها ودفن بها وخلف ذكرين وأنثى من جارية وألف دينار وحفظت جِهاته لولديه رحمه الله تعالى وإيانا ».